والصوم نصف الصبر اي معظمه وقيل يأتي فيه ما مر في الطهور نصف الايمان فلا تلح كل تناسبه التعبير عنه بالضياء الذي هو
محرق بخلاف الصلاة كما تقرر وبانه لما امتاز عليها باضافته الا الله تعالى دون غيره من العبادات وبتوليه تعالى الجزاء عليه
المشعر ببلوغه من العظمة والكمال نهايتها فلا بدع ان يتميز عليها بكونه ضوءا منها وانوارا ايضا ففيه من تصفية النفس
وتطهيرها من الكدورات المانعة لها من مطالعة الغيوب ما ليس في الصلوة فبهذا الاعتبار كان اضوا منها وانور فاتضح
حكمة التغاير بينهما وايثاره عليها بكونه ضياء ثم رايت بعض الشارحين صرح بكثير مما ذكر وزيادة مع انه فاته
محاسن مما مر فقال ما حاصله فان قلت لم جعل الصبر ضياء والصلوة نورا وهل بينهما فرق قلت الفرق ما قيل ان
الضياء اعظم وابلغ من النور بدليل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي اعم واعظم نورا منه ولذلك قال تعالى
ذهب الله بنورهم ولم يقل بضيائهم لان نفي الاعم ابلغ واورد عليه الله نور السموات والارض ولم يقل ضوؤها ولا ضياؤها
فاشرقت الارض بنور ربها ولم يقل بضيائه واجيب عن الاول بان المعنى الله منور السموات ولم يقل مضي لان النور
اعم لانه يكون ليلا ونهارا والضوء ليس الا نهارا بالشمس وايضا المراد بنورهما هداية اهلهما والعادة لغة وعرفا ان يقال نور
الهداية لا ضوؤها ومنه يخرجهم من الظلمات الى النور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وعن الثاني بان الضوء كالوصف
الزائد على النور والمحتاج اليه هو النور والناقص المخلوق واما نور الله تعالى فهو قديم كامل لذاته منزه عن الجسمية
والعرضية لا يحتاج الا صفة زائدة عليه ويحتمل ان المعنى واشرقت الارض بنورها بنور ملائكته او عدل ربها اذ لو اشرق
عليها ما اشرق على جبل الطور لما تجلى ربه له لتصدعت وتشققت واندكت كما اندك الجبل ولا يلزم في نور الملائكة
والعدل العفو وانما جعل ضياء وهو نور الا انه اخص منه لاشتماله عليها وحجة على غيرها من الطاعات او تعلقه بذي
اذ حبس النفس على الطاعة وعن المعصية فكان الضياء الاخص من النور اولى به ولانه تعالى قال واستعينوا بالصبر
والصلوة والتقديم للاهم فالاهم وقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ولم يقل لما صلوا وقال صلى الله
عليه وسلم ما اعطي احد خيرا من الصبر واوسع عطاء من الصبر وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب و
لم يرد ذلك لغيره انتهى **والقرآن** مر الكلام على اشتقاقه في الخطبة وهو هنا اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم
للاعجاز باقصر سورة **حجة لك** في المواقف التي تسأل فيها عنه كالقبر وعند الميزان وفي عقبات الصراط ان
امتثلت جميع اوامره واهتديت بانواره وتحليت بما فيه من معالي الاخلاق وشرايف الاحوال **او حجة عليك**
في تلك المواقف ان خضت ثمة شيئا من نواهيه واعرضت عن القيام بما له من واجب الحقوق كما اشار صلى الله عليه وسلم
الى ذلك في حديث القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من قدمه امامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه دفع في
قفاه الى النار وقيل ذلك وعليك في المباحث الشرعية والوقايع الحكمية لانه المرجع عند التنازع وهذا اقتبس
من قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا او من ثم قال بعض السلف

ما جالس احد

ما جالس احد القرآن فقام عنه سالما بل اما ان يربح واما ان يخسر ثم تلى هذه الاية وروى عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده
انه صلى الله عليه وسلم تمثل القرآن يوم القيمة رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف امره فيتمثل له خصما فيقول يا رب قد حملته اياي
فبئس حامل تعدى حدودي وضيع فرايضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال له شانك به
فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار قال ويأتي بالرجل الصالح كان قد حمله فيتمثل له خصما دونه فيقول يا رب
حملته اياي فخير حامل حفظ حدودي وعمل بفرايضي واجتنب معصيتي واتبع طاعتي فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال
شانك به فيأخذه بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر **كل الناس يغدو**
اي يصبح ويبكر ساعيا في تحصيل اغراضه صرعا في طلب نيل مقاصده **فبايع نفسه** من الله عز وجل ببذلها فيما يخلصها من
سخطه واليم عقابه متوجها بقلبه وقالبه الى الاخرة واعمالها مع الاعراض عن زخارف الدنيا وزينتها ومتعبدا بآداب الشرع
قولا وفعلا وامتثالا واجتنابا **فمعتقها** من رق الخطايا والمخالفات ومن سخط الله واليم عقابه كما قال تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى ان قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وقال ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة
الا ذلك هو الخسران المبين وفي حديث الصحيحين المشهور لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش
اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيئا ثم قال مثل ذلك لبني عبد المطلب وبني عبد مناف ولعمته وبنته وغيرهم
واخرج الطبراني والخرائطي من قال اذا اصبح سبحان الله وبحمده الف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان من الله اخر يومه عتيقا
من النار فاعجب ممن يبيع ابل الى عتق وسيباده ومتكفل بالفوز بالحسنى وزيادة **او بايع** نفسه من الشيطان ببذلها فيما
يرديها ويغويها من مذموم اغراضه وايثار شهواته فهو حينئذ **موبقها** اي مهلكها بما اوقعها فيه من اليم العذاب وكشف الحجاب
اخرجه مسلم وهو اصل عظيم من اصول الاسلام لاشتماله على مهمات من قواعد الدين بل على نصف الدين باعتبار ما قررناه
في شطر الايمان بل على الدين جميعه باعتبار ما قررناه في الصبر وفي معتقها وموبقها وفي رواية للترمذي التسبيح نصف الميزان
والحمد لله تملؤه والتكبير يملأ ما بين السموات والارض والصوم نصف الصبر وفي رواية للبيهقي وسبحان الله والله اكبر يملأ
ما بين السماء والارض والصوم جنة والصلاة نور ولا تعارض بين رواية مسلم السابقة ورواية الترمذي هذه لان كون
التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملؤه باعتبار انفراد كل فلا ينافي في انهما اذا اجتمعا ملأ ما بين السموات والارض
زيادة على ذلك ولا بينها وبين رواية البيهقي لانها افادة ان الله اكبر تقوم مقام الحمد في انها اذا اجتمعت مع التسبيح ملأ
ما بين السموات والارض لكن بين رواية الترمذي والبيهقي نوع تناف لان الاولى افادة ان التكبير وحده يملأ ما
بين السموات والارض والثانية افادة انه لا يملأ ذلك الا مع ضم التسبيح اليه وقد يجاب بان ذلك يختلف باختلاف
العاملين او اخبر صلى الله عليه وسلم بالثاني فاخبر به ثم اخبر بزيادة تفضل من الله تعالى في ثواب التكبير فاخبر به نظيرها

Copyright © King Saud University